بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومِن سيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِلْ فلا هادي له؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلَّى الله عليه وعلى آله وسلم.

أما بعد : يقول العلامة جلال الدين السيوطي ﷺ :

أبو بكر الصديق ﷺ (تولى الخلافة من سنة ١١هـ وحتى ١٣هـ): خليفة رسول الله ﷺ اسمه : عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، القرشي، التيمي، يلتقي مع رسول الله ﷺ في مرة .

قال مصعب بن الزبير وغيره : وأجمعت الأمة على تسميته بالصديق ؛ لأنه بادر إلى تصديق رسول الله ﷺ ولازم الصدق، فلم تقع منه هناة ما، ولا وقفة في حال من الأحوال، وكانت له في الإسلام المواقف الرفيعة منها قصته ليلة الإسراء، وثباته، وجوابه للكفار في ذلك، وهجرته مع رسول الله ﷺ وترك عياله وأطفاله، وملازمته في الغار وسائر الطريق، ثم كلامه يوم بدر ويوم الحديبية حين اشتبه على غيره الأمر في تأخر دخول مكة، ثم بكاؤه حين قال رسول الله ﷺ : " إن عبدًا خيره الله بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة "، ثم ثباته يوم وفاة رسول الله ﷺ وخطبته الناس وتسكينهم، ثم قيامه في قضية البيعة لمصلحة المسلمين، ثم اهتمامه وثباته في بعث جيش أسامة بن زيد إلى الشام وتصميمه في ذلك، ثم قيامه في قتال أهل الردة ومناظرته للصحابة حتى حجهم بالدلائل، وشرح الله صدورهم لما شرح له صدره من الحق –وهو قتال أهل الردة– ثم تجهيزه الجيوش إلى الشام لفتوح وإمدادهم بالأمداد، ثم ختم ذلك بمهمّ من أحسن مناقبه وأجل فضائله، وهو استخلافه على المسلمين عمر ﷺ وتفرسه فيه، ووصيته له، واستيداعه الله الأمة، فخلفه الله ﷻ فيهم أحسن الخلافة، وظهر لعمر الذي هو حسنة من حسناته وواحدة من فعلاته تمهيد الإسلام، وإعزاز الدين، وتصديق وعد الله تعالى بأنه يظهره على الدين كله، وكم للصديق من مناقب ومواقف وفضائل لا تحصى؟ هذا كلام النووي .

– في اسمه ولقبه وفي مولده، ومنشئه :

تقدمت الإشارة إلى ذلك. قال ابن كثير: اتفقوا على أن اسمه عبد الله بن عثمان، إلا أن ما روى ابن سعد عن ابن سيرين أن اسمه عتيق، والصحيح أنه لقبه ، ولد بعد مولد النبي ﷺ بسنتين وأشهر؛ فإنه مات وله ثلاث وستون سنة، قال ابن كثير: وأما ما أخرجه خليفة بن الخياط، عن يزيد بن الأصم أن النبي ﷺ قال: لأبي بكر: " أنا أكبر أو أنت؟ " قال: أنت أكبر وأنا أسنّ منك. فهو مرسل غريب جدًّا، والمشهور خلافه، وإنما صح ذلك عن العباس ، وكان منشؤه بمكة، لا يخرج منها إلا لتجارة، وكان ذا مال جزيل في قومه، ومروءة تامة، وإحسان، وتفضل فيهم، كما قال ابن الدّغنّة : إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتكسب المعدوم، وتحمل الكَلّ وتعين على نوائب الدهر، وتقري الضيف.

قال النووي : وكان من رؤساء قريش في الجاهلية، وأهل مشاورتهم، ومحببًا فيهم، وأعلم لمعالمهم، فلما جاء الإسلام آثره على ما سواه، ودخل فيه أكمل دخول ، وأخرج الزبير بن بكار وابن عساكر عن معروف بن خربوذ قال: إن أبا بكر الصديق ﷺ أحد عشرة من قريش اتصل بهم شرف الجاهلية والإسلام فكان إليه أمر الدّيات والغرم، وذلك أن قريشًا لم يكن لهم ملك ترجع الأمور كلها إليه، بل كان في كل قبيلة ولاية عامة تكون لرئيسها، فكانت في بني هاشم السقاية، والرفادة، ومعنى ذلك أنه لا يأكل ولا يشرب أحد إلا من طعامهم وشرابهم، وكانت في بني عبد الدار: الحجابة، واللواء، والندوة –أي : لا يدخل البيت أحد إلا بإذنهم– وإذا عقدت قريش راية حرب عقدها لهم بنو عبد الدار، وإذا اجتمعوا لأمر إبرامًا أو نقصًا لا يكون اجتماعهم إلا بدار الندوة، ولا ينفذ إلا بها، وكانت لبني عبد الدار.

فصل : كان أبو بكر رضي الله عنه أعف الناس في الجاهلية

أخرج ابن عساكر بسند صحيح عن عائشة ﷺ قالت: والله ما قال أبو بكر شعرًا قط في جاهلية ولا إسلام، ولقد ترك هو وعثمان شرب الخمر في الجاهلية.وأخرج أبو نعيم بسند جيد عنها، قالت: لقد حرّم أبو بكر الخمر على نفسه في الجاهلية ..

فصل: في صحبته ومشاهده

قال العلماء : صحب أبو بكر النبي ﷺ من حين أسلم إلى حين توفي، لم يفارقه سفرًا ولا حضرًا، إلا فيما أذن له عليه الصلاة والسلام في الخروج فيه من حج وغزو، وشهد معه المشاهد كلها، وهاجر معه، وترك عياله وأولاده رغبة في الله ورسوله ﷺ وهو رفيقه في الغار، قال تعالى: ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾[التوبة: ٤٠] وقام بنصر رسول الله ﷺ في غير موضع، وله الآثار الجميلة في المشاهد، وثبت يوم أحد ويوم حنين، وقد فرّ الناس، كما سيأتي في فصل شجاعته ، أخرج ابن عساكر عن أبي هريرة قال: تباشرت الملائكة يوم بدر، فقالوا: أما ترون الصديق مع رسول الله ﷺ في العريش ؟ وأخرج أبو يعلى، والحاكم، وأحمد، عن علي قال: قال لي رسول الله ﷺ يوم بدر ولأبي بكر: "مع أحدكما جبريل، ومع الآخر ميكائيل" (أخرجه أحمد في المسند ١/١١٧).

فصل: في شجاعته وأنه أشجع الصحابة رضي الله عنه

أخرج البزار في مسنده عن علي أنه قال: أخبروني من أشجع الناس؟ فقالوا: أنت، قال : أما إني ما بارزت أحدًا إلا انتصفت منه، ولكن أخبروني بأشجع الناس ؟ قالوا : لا نعلم، فمن ؟ قال: أبو بكر، إنه لما كان يوم بدر، فجعلنا لرسول الله ﷺ عريشًا، فقلنا : من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوى إليه أحد من المشركين ؟ فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهرًا بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لا يهوى إليه أحد إلا هوى إليه ؛ فهو أشجع الناس، قال علي ﷺ : لقد رأيت رسول الله ﷺ وأخذته قريش، فهذا يجبأه (أي يخرجه)، وهذا يتلتله (يسوقه بعنف) ، وهم يقولون : أنت الذي جعلت الآلهة إلها واحدا ؟ قال : فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب هذا، ويجبأ هذا، ويتلتل هذا، وهو يقول : ويلكم ! أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، ثم رفع على بردة كانت عليه ، فبكى حتى اخضلّت لحيته ثم قال : أنشدكم الله، أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر؟ فسكت القوم، فقال : ألا تجيبوني ؟ فوالله لساعة من أبي بكر خير من ألف ساعة من مثل مؤمن آل فرعون ذاك رجل يكتم إيمانه، وهذا رجل أعلن إيمانه .

وأخرج البخاري عن عروة بن الزبير قال: سألت عبد الله بن عمرو بن العاص عن أشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ فقال : رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي، فوضع رداءه في عنقه، فخنقه خنقًا شديدًا، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه، فقال : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ؟ (أخرجه البخاري "٧/٣٦٧٨").

فصل : في إنفاقه ماله على رسول الله ﷺ وأنه أجود الصحابة :

قال الله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِي يُؤْتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴾ [الليل: ١٧،١٨] إلى آخر السورة. قال ابن الجوزي : أجمعوا على أنها نزلت في أبي بكر، وأخرج أحمد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : " ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر " فبكى أبو بكر، وقال : هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله ؟ (أخرجه أحمد في المسند "٢/٢٣٥"). وأخرج أبو يعلى من حديث عائشة ﷺ مرفوعًا مثله ، وأخرج ابن عساكر من طرق عن عائشة ﷺ وعروة بن الزبير: أن أبا بكر ﷺ أسلم يوم أسلم وله أربعون ألف دينار–وفي لفظ : أربعون ألف درهم– فأنفقها على رسول الله ﷺ ، وأخرج أبو سعيد الأعرابي عن ابن عمر ﷺ قال : أسلم أبو بكر رضي الله عنه يوم أسلم وفي منزله أربعون ألف درهم فخرج إلى المدينة في الهجرة وما له غير خمسة آلاف، كل ذلك ينفقه في الرقاب والعون على الإسلام. وأخرج ابن عساكر عن عائشة ﷺ أن أبا بكر أعتق سبعة كلهم يعذب في الله .

فصل: في علمه، وأنه أعلم الصحابة، وأذكاهم :

قال النووي في تهذيبه، ومن خطه نقلت : استدل أصحابنا على عظم علمه بقوله ﷺ في الحديث الثابت في الصحيحين : والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه، واستدل الشيخ أبو إسحاق بهذا وغيره في طبقاته على أن أبا بكر الصديق ﷺ أعلم الصحابة ؛ لأنهم كلهم وقفوا عن فهم الحكم في المسألة إلا هو، ثم ظهرت لهم.بمباحثته لهم أن قوله هو الصواب ، فرجعوا إليه، وروينا عن ابن عمر أنه سئل : من كان يفتي الناس في زمن رسول الله ﷺ؟ فقال : أبو بكر وعمر ﷺ ما أعلم غيرهما .

مختصر سيرة أبي بكر رضي الله عنه

من كتاب (تاريخ الخلفاء)

العلامة الحافظ
جلال الدين السيوطي
(المتوفى رحمه الله سنة ٩١١هـ)

وأخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري قال: خطب رسول الله ﷺ الناس وقال: " إن الله تعالى خَيَّرَ عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله ". فبكى أبو بكر وقال : نفديك بآبائنا وأمهاتنا، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عن عبد خيّر، فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا، فقال رسول الله ﷺ: " إن من أمنّ الناس عليّ في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذًا خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقينّ باب إلا سدّ إلا باب أبي بكر " (أخرجه البخاري "٧/٣٦٥٤"، ومسلم "٤/٢٣٨٢") .. ، وقال ابن كثير : كان الصديق ﷺ أقرأ الصحابة –أي: أعلمهم بالقرآن– لأنه ﷺ قدّمه إمامًا للصلاة بالصحابة ﷺ مع قوله : " يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله ". وأخرج الترمذي عن عائشة ﷺ قالت : قال رسول الله ﷺ: " لاينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره " (أخرجه الترمذي "٥/٣٦٧٣").

فصل : في أنه أفضل الصحابة وخيرهم

أجمع أهل السنة أن أفضل الناس –بعد رسول الله ﷺ– أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ثم سائر العشرة، ثم باقي أهل بدر، ثم باقي أهل أحد، ثم باقي أهل البيعة، ثم باقي أهل الصحابة، هكذا حكى الإجماع عليه أبو منصور البغدادي، وروى البخاري عن ابن عمر قال : كنا نخير بين الناس في زمان رسول الله ﷺ فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان ﷺ وزاد الطبراني في الكبير: فيعلم بذلك النبي ﷺ ولا ينكره. (أخرجه الطبراني في كتاب فضائل الصحابة "٧/٣٦٥٥"..، عن ابن أبي ليلى قال : قال علي : لا يفضلني أحد على أبي بكر و عمر إلا جلدته حد المفتري.(مختصرتاريخ دمشق"١٣/١١٠")

فصل : في مرضه ووفاته، ووصيته، واستخلافه عمر:

أخرج سيف والحاكم عن ابن عمر قال : كان سبب موت أبي بكر وفاة رسول الله ﷺ كَمِد (اي حزن) مازال جسده يضوي حتى مات. يضوي : أي ينقص، أخرج ابن سعد والحاكم بسند صحيح عن ابن شهاب : أن أبا بكر والحارث بن كلدة كانا يأكلان خزيرة أهديت لأبي بكر، فقال الحارث لأبي بكر: ارفع يدك يا خليفة رسول الله ﷺ ، والله إن فيها لسم سنة،

وأنا وأنت نموت في يوم واحد، فرفع يده، فلم يزالا عليلين حتى ماتا في يوم واحد عند انقضاء السنة . وأخرج الحاكم عن الشعبي قال: ماذا نتوقع من هذه الدنيا الدنية وقد سم رسول الله ﷺ وسم أبو بكر؟! (أخرجه الحاكم في المستدرك "٣/٦٤") . وأخرج الواقدي والحاكم عن عائشة ﷺ قالت : كان أول بدء مرض أبي بكر أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة، وكان يومًا باردًا، فحم خمسة عشر يومًا لا يخرج إلى الصلاة، وتوفي ليلة الثلاثاء لثمانٍ بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة، وله ثلاث وستون سنة (أخرجه الحاكم في المستدرك "٣/٦٣").وأخرج ابن سعد وابن أبي الدنيا عن أبي السفر، قال: دخلوا على أبي بكر في مرضه، فقالوا: يا خليفة رسول الله ﷺ ألا ندعوا لك طبيبًا ينظر إليك ؟ قال : قد نظر إلي فقالوا : ما قال لك ؟ قال: قال : إني فعال لما أريد (أخرجه ابن سعد في الطبقات "٢/١٨١").. و دخل عليه بعض الصحابة فقال له قائل منهم : ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا و قد ترى غلظته ؟ فقال أبو بكر : بالله تخوفني ؟ أقول : اللهم إني استخلفت عليهم خير أهلك أبلغ عني ما قلت من وراءك .. وأخرج أحمد عن عائشة ﷺ قالت : إن أبا بكر لما حضرته الوفاة قال : أي يوم هذا ؟ قالوا: يوم الاثنين قال: فإن مت من ليلتي فلا تنتظروا بي لغد، فإن أحب الأيام والليالي إلي أقربها من رسول الله ﷺ (أخرجه أحمد في المسند "١/٨").

وأخرج مالك عن عائشة ﷺ : أن أبا بكر نحلها جداد عشرين وسقا من ماله بالغابة، فلما حضرته الوفاة قال : يا بنية، والله ما من الناس أحد أحب إليّ غنى منك، ولا أعز علي فقرًا بعدي منك، وإن كنت نحلتك جداد عشرين وسقا، فلو كنت جددته واحترزته كان لك، وإنما هو اليوم مال وارث، وإنما هو أخواك وأختاك فاقسموه على كتاب الله، فقالت: يا أبت! والله لو كان كذا وكذا لتركته، إنما هي أسماء، فمن الأخرى ؟ قال : ذو بطن ابنة خارجة، أراها جارية، وأخرجه ابن سعد، وقال في آخره : ذات بطن ابنة خارجة، وقد ألقى في روعي أنها جارية، فاستوصى بها خيرًا، فولدت أم كلثوم (أخرجه مالك في الموطأ "٢/٧٥٢/٤٠). وأخرج ابن سعد عن عروة أن أبا بكر أوصى بخمس ماله، وقال: آخذ من مالي ما أخذ الله من فَيْءِ المسلمين . وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن الضحاك: أن أبا بكر وعليًا أوصيا بالخمس من أموالهما لمن لا

يرث من ذوي قرابتهما، أخرج عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد عن عائشة ﷺ قالت : والله ما ترك أبو بكر دينارًا ولا درهَمًا ضرب الله سكته .

وأخرج ابن سعد وغيره عن عائشة ﷺ قالت : لما ثقل أبو بكر تمثلت بهذا البيت :

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى ** إذا حشرجت يومًا وضاق بها الصدر

فكشف عن وجهه، وقال : ليس كذلك، ولكن قولي: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩] انظروا ثوبَيَّ هذين فاغسلوهما، وكفنوني فيهما ، فإن الحي أحوج إلى الجديد من الميت (أخرجه ابن سعد في الطبقات "٢/١٨") .

وأخرج ابن سعد عن سعيد بن المسيب: أن عمر ﷺ صلى على أبي بكر بين القبر والمنبر، وكبر عليه أربعًا. وأخرج عن عروة، والقاسم بن محمد: أن أبا بكر أوصى عائشة أن يدفن إلى جنب الرسول ﷺ فلما توفي حفر له وجعل رأسه عند كتف الرسول ﷺ وألصق اللحد بقبر الرسول ﷺ (أخرجه ابن سعد في الطبقات "٢/١٩٠"). وأخرج عن ابن عمر قال : نزل في حفرة أبي بكر: عمر، وطلحة، وعثمان، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وأخرج من طرق عدة : أنه دفن ليلاً ، وأخرج عن مجاهد، أن أبا قحافة رد ميراثه من أبي بكر على ولد أبي بكر، و لم يعش أبوقحافة بعد أبي بكر إلا ستة أشهر وأيامًا، ومات في المحرم سنة أربع عشرة ، وهو ابن سبع وتسعين سنة .

قال العلماء : لم يلِ الخلافة أحد في حياة أبيه إلا أبو بكر ، و لم يرث خليفة أبوه إلا أبا بكر ، وأخرج الحاكم عن ابن عمر قال : ولي أبو بكر سنتين وسبعة أشهر (أخرجه الحاكم في المستدرك "٣/٦٥"، وسكت عليه) .

من كتاب / تـــاريخ الخـــلفاء
للحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي رحمه الله